مجلة فصل الخطاب Journal of Fasloel-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 15، عدد رقم:03، سبتمبر2026، صص: 331- 350

تاريخ الاستلام(2025/11/20)تاريخ القبول (2026/09/15)تاريخ النشر (2026/09/30)

اللغة العربية والهوية الثقافية مقاربة عرفانية لسانية

Arabic Language and Cultural Identity: A Cognitive-Linguistic Approach

بلميهوب عبد المالك

جامعة محمد البشير الإبراهيمي (الجزائر)،abdelmalek.belmihoub@univ-bba.dz

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة العلاقة بين اللغة العربية والهوية الثقافية من منظور اللسانيات العرفانية، والتي تُعدّ من الاتجاهات اللسانية الحديثة التي تتناول اللغة كجزء من المنظومة الإدراكية للإنسان. تنطلق الدراسة من الفرضية القائلة بأن اللغة ليست مجرد أداة للتواصل، بل هي آلية معرفية لبناء المعاني وتمثيل التجربة الإنسانية، ومن ثم تجسيد الهوية الفردية والجماعية. تكشف نتائج الدراسة أن اللغة العربية، بما تحمله من دلالات دينية وتاريخية وثقافية، تشكل وعاءً حيوياً للهوية الثقافية العربية والإسلامية. وقد تم تحليل هذه العلاقة من خلال ثلاثة آليات معرفية عرفانية أساسية: أولاً، الاستعارة التصورية، التي تبرز كيفية تمثيل المفاهيم المجردة عبر الخبرات الحسية، مثل استخدام مفهوم "النور" رمزاً للهداية؛ ثانياً، الأطر الدلالية، التي توضّح كيفية فهم المفاهيم ضمن نماذج ثقافية متكاملة، مثل إطار "الضيافة" في المعجم العربي؛ وثالثاً، النحو العرفاني، الذي يُظهر دور البنى النحوية في تصوير المعنى وتشكيله. وتخلص الدراسة إلى أن توظيف أدوات اللسانيات العرفانية في دراسة اللغة العربية يتيح فهماً أعمق لتجليات الهوية الثقافية في النصوص الدينية والأدبية والخطاب المعاصر، كما يفتح آفاقاً بحثية جديدة لدراسة العلاقة بين اللغة والفكر والثقافة.

كلمات مفتاحية:

المؤلف المرسل: بلميهوب عبد المالك **الإيميل:**abdelmalek.belmihoub@univ-bba.dz

اللغة العربية – الهوية الثقافية – اللسانيات العرفانية – الاستعارة التصورية – دلالة الأطر

Summary:

This study aims to examine the relationship between the Arabic language and cultural identity from the perspective of cognitive linguistics, one of the modern linguistic approaches that views language as an integral part of the human cognitive system. The study is based on the premise that language is not merely a means of communication, but also a cognitive mechanism for constructing meaning and representing human experience, thereby embodying individual and collective identity.The findings reveal that the Arabic language, with its religious, historical, and cultural connotations, constitutes a vital repository of Arab and Islamic cultural identity. This relationship is analyzed through three fundamental cognitive mechanisms. First, conceptual metaphor, which demonstrates how abstract concepts are represented through sensory experiences, such as the use of the concept of “light” as a symbol of guidance. Second, semantic frames, which illustrate how concepts are understood within integrated cultural models, such as the frame of “hospitality” in the Arabic lexicon. Third, cognitive grammar, which highlights the role of grammatical structures in representing and shaping meaning.The study concludes that applying the tools of cognitive linguistics to the study of Arabic provides deeper insight into the manifestations of cultural identity in religious and literary texts as well as contemporary discourse. It also opens new avenues for research into the relationship between language, thought, and culture.

Keywords: Arabic language; cultural identity; cognitive linguistics; conceptual metaphor; semantic frames.

1. مقدمة:

تُشكّل اللغة أحد الأعمدة الأساسية التي تقوم عليها الهوية الثقافية للأمم، إذ لا تنحصر وظيفتها في التواصل وتبادل المعلومات، بل تتجاوز ذلك لتغدو أداة للتفكير والتأويل وصياغة المعنى. فاللغة وعاء للذاكرة الجمعية، وحاضنة للقيم والرموز والسرديات التي تنتقل عبر الأجيال، وهي في الوقت ذاته آلية لإنتاج المعرفة وتفسير العالم. وإذا كانت الثقافة تُفهم على أنها نسق من الرموز والمعاني المشتركة، فإن اللغة تمثل قلب هذا النسق ومحرّكه الرئيس.

في السياق العربي، اكتسبت اللغة العربية مكانة استثنائية جعلتها أكثر من مجرد أداة للتخاطب؛ فهي لغة الوحي القرآني، وعلامة حضارية جمعت أجيالاً متعاقبة من الناطقين بها عبر أقاليم متعددة. وقد رأى مفكرون عرب قدامى وحديثون أن الدفاع عن العربية هو في

جوهره دفاع عن الهوية، باعتبارها الرصيد الرمزي والمعرفي الذي يحفظ تماسك الأمة ويصون ذاكرتها. ولهذا ارتبطت العربية بالانتماء الديني والقومي والحضاري، وأصبحت عنصراً مركزياً في تشكيل وعي الذات عند العرب والمسلمين.

ومع تطور العلوم اللسانية في القرن العشرين، ظهر تيار اللسانيات العرفانية منذ ثمانينياته ليعيد النظر في طبيعة اللغة، منتقداً التصورات البنيوية التي حصرتها في نسق شكلي مغلق ومنفصل عن الذهن والتجربة الإنسانية. فقد أكدت المقاربة العرفانية أن اللغة نشاط إدراكي وثقافي متداخل، وأن فهمها لا ينفصل عن الكيفية التي يدرك بها الإنسان العالم ويعيش خبراته فيه. من هذا المنطلق، غدت اللغة مدخلاً محورياً لدراسة كيفية بناء الهويات وتمثيلها عبر آليات مثل الاستعارة التصورية، والأطر الدلالية، والتجسيد.

وانطلاقاً من هذه الخلفية النظرية والتاريخية، يسعى هذا البحث للإجابة عن الإشكالية التالية :كيف تُسهم اللغة العربية، في ضوء اللسانيات العرفانية، في بناء الهوية الثقافية وتمثيلها؟ وهل تتيح الأدوات العرفانية كشف العمق الرمزي والمعرفي الكامن في العربية بوصفها لغة وهوية في آن؟

2.الإطار النظري:

1.2 اللسانيات العرفانية المصطلح والمفهوم:

تُعدّ اللسانيات العرفانية **(Cognitive Linguistics)** من أبرز التحولات النظرية التي عرفتها الدراسات اللسانية منذ ثمانينيات القرن العشرين. فقد جاءت استجابة للنزعة الشكلية التي ميّزت النماذج البنيوية والتوليدية، حيث تم التعامل مع اللغة بوصفها نسقاً مغلقاً ذا استقلال نسبي عن الذهن والتجربة الإنسانية. في المقابل، أكدت اللسانيات العرفانية أن اللغة نشاط معرفي متجذر في التجربة الجسدية والحسية والاجتماعية للإنسان، وأنها أداة للتفكير وبناء المعنى أكثر من كونها مجرد نظام للتراكيب.[1]

ويمكن تلخيص المبادئ الأساسية لهذه المقاربة في ثلاثة محاور كبرى:

أ- مبدأ المعنى المركزي (Centrality of Meaning) :

ترى اللسانيات العرفانية أن المعنى هو جوهر اللغة ومحورها، خلافاً للتصورات الشكلية التي وضعت البنية النحوية في قلب البحث اللغوي. فاللغة شبكة من المعاني

المتجذّرة في الخبرة الإنسانية وليست مجرد قواعد صورية. وقد ذهب رونالد لانغاكر إلى أن "النحو هو الدلالة ذاتها"، حيث تُفهم البنى النحوية باعتبارها طرائق لتشكيل المعنى وتصويره في الذهن.[2]

• مثال: في العربية، اختلاف التراكيب مثل" :جاء زيد "و* "زيد جاء"* لا يُفهم فقط على أنه تغيير في البنية، بل يُعبر عن اختلاف في تركيز المعنى والزاوية الإدراكية (construal) التي يقدَّم بها الحدث.

ب-مبدأ التجسيد(Embodiment) :

أحد الإسهامات الجوهرية للسانياتالعرفانية هو إبراز دور الجسد والتجربة الحسية في تشكيل المفاهيم اللغوية. فالفكر الإنساني ليس منفصلاً عن الجسد، بل يعتمد على تفاعل الإنسان مع المكان والزمان والحركة. وقد بين لاكوف وجونسون أن الكثير من المفاهيم المجردة تُبنى استعاريًا انطلاقاً من تجاربنا الجسدية اليومية، مثل مفهومي "الصعود/الهبوط "للتعبير عن القيمة أو الحالة) المعنويات مرتفعة، الأسعار هبطت(، أو "النور/الظلام "للدلالة على المعرفة/الجهل أو الخير/الشر.[3]

• مثال: قولنا "أشرقت الحقيقة "أو "غابت الحكمة "يوظف تجارب حسية مرتبطة بالنور والظلام لتجسيد مفاهيم مجردة.

ت-مبدأ عدم استقلال اللغة (Non-Modularity) :

تؤكد اللسانيات العرفانية أن اللغة ليست وحدة ذهنية مستقلة، بل هي جزء لا يتجزأ من العمليات الإدراكية الأخرى كالذاكرة والانتباه والتصنيف والتصور الذهني. فاللغة تعكس طريقة الإنسان في تنظيم الواقع ضمن أطر معرفية وثقافية مشتركة. وقد طور تشارلز فيلمور مفهوم الأطر الدلالية (Frame Semantics) ليبيّن أن معنى الكلمات لا يمكن أن يُفهم بمعزل عن النماذج المعرفية التي تستدعيها.[4]

• مثال: كلمة "شراء "لا يمكن فهمها إلا ضمن إطار "النشاط التجاري" الذي يتضمن أدواراً مثل بائع، مشترٍ، بضاعة، ومال.

جدول (1): المبادئ الجوهرية للسانياتالعرفانية:

المبدأ	الشرح	مثال عربي
المعنى المركزي	اللغة شبكة من المعاني المتجذرة في الخبرة الإنسانية، والنحو امتداد للدلالة.	زيد جاء/جاء زيد
التجسيد	الجسد والتجربة الحسية إطار لتشكيل المفاهيم والاستعارات.	أشرقت الحقيقة
عدم استقلال اللغة	اللغة متداخلة مع الإدراك والذاكرة والأطر الثقافية، وليست نظاماً مستقلاً.	شراء – بيع – بضاعة – ثمن

تمثل هذه المبادئ الثلاثة الأرضية التي تقوم عليها النظريات الفرعية داخل اللسانيات العرفانية، مثل نظرية الاستعارة التصورية (Conceptual Metaphor Theory) ، ونظرية الأطر الدلالية (Frame Semantics)، والنحو العرفاني(Cognitive Grammar) ، ومن خلال هذه الأدوات يصبح ممكناً فهم اللغة لا كنسق مغلق، بل كفعل إدراكي وثقافي متشابك مع التجربة الإنسانية الكلية.[5]

2.2 الهوية الثقافية:

تُعدّ الهوية الثقافية من أكثر المفاهيم تداولاً في الدراسات الإنسانية والاجتماعية المعاصرة، وهي مفهوم يتسم بالجدلية بين الثبات والتحول، الفردي والجماعي، المحلي والعالمي. فالهوية ليست معطى جاهزاً أو جوهراً ثابتاً، بل هي بناء اجتماعي ومعرفي يتشكل باستمرار عبر اللغة، والرموز، والممارسات الثقافية. وقد عرّفها ستيوارت هول بأنها "عملية مستمرة من التمثيل وإعادة التمثيل" [6]تنعكس من خلال التاريخ والخطاب والسلوك الجمعي.

جدول (2): أبعاد الهوية الثقافية:

البُعد	التفسير	مثال عربي
البُعد الديني	القيم والرموز المستمدة من العقائد والنصوص المقدسة.	ارتباط العربية بالقرآن والحديث.
البُعد التاريخي	الذاكرة الجمعية الممتدة عبر السرديات والأحداث	معركة بدر، النهضة العربية.

	المشتركة.	
البُعد الاجتماعي	العادات والتقاليد التي تشكل نمط الحياة اليومي للجماعة.	الضيافة، الكرم، روابط القبيلة.
البُعد الرمزي	الصور والاستعارات التي تجسد القيم والمعاني داخل الخطاب.	استعارة "النور" للهداية و"الظلام" للضلال.
البُعد اللغوي	اللغة كأداة للتواصل ورمز للانتماء وكينونة رمزية مشتركة.	العربية شعار للهوية القومية والإسلامية.

3.2 الهوية الثقافية في السياق العربي: البُعد اللغوي والمعرفي:

تمثل اللغة العربية محوراً أساسياً في بناء الهوية الثقافية العربية، إذ تتقاطع فيها الأبعاد الدينية والقومية والحضارية. فاللغة العربية ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي إطار معرفي يتيح للأفراد والجماعات تفسير العالم وتمثيل التجربة الإنسانية وفق منظومة رمزية وثقافية محددة[7]، وهي لغة القرآن الكريم، وحافظة للتراث الأدبي والفكري العربي، وأداة توحيد بين شعوب متباينة جغرافياً وثقافياً، ما جعلها وسيلة لتكوين خطاب مشترك يكرس الانتماء الجماعي ويعزز الهوية العربية.[8]

ومن منظور اللسانيات العرفانية، تُعتبر اللغة أداة لإعادة إنتاج المعاني الرمزية والثقافية، حيث تُستخدم الاستعارات التصورية، والأطر الدلالية، والبنى النحوية في تشكيل الفهم الثقافي للأفراد والجماعات[9]، فعلى سبيل المثال، تعكس مفاهيم مثل "النور" و"الضيافة" نماذج معرفية وثقافية متجذرة، تساعد في تصوير الهوية الجماعية وتجسيدها في الممارسات اليومية والخطاب الديني والسياسي والأدبي.

ويؤكد عبد السلام المسدي أن الدفاع عن اللغة العربية لا يقتصر على الجانب اللغوي فحسب، بل يمتد إلى حماية استمرارية الهوية الثقافية للأمة العربية، باعتبارها وسيلة لحفظ التراث التاريخي والمعرفي والحضاري[10]، وتظهر الدراسات الأنثروبولوجية

واللسانية أن اللغة ليست انعكاساً سلبياً للهوية، بل وسيلة فاعلة لبنائها وتمثيلها، إذ تعيد الممارسات اللغوية اليومية صياغة حدود الهوية الفردية والجماعية عبر الرموز، والمعاني، والتجسيدات اللغوية.[11]

وعليه، فإن دراسة اللغة العربية ضمن هذا الإطار المعرفي والعرفاني تتيح فهماً أعمق للهوية الثقافية في العالم العربي، ليس فقط عبر حفظ النصوص التراثية، بل من خلال تحليل الطرق التي تُنتج بها اللغة المعاني، وتُشكل التجربة الإنسانية، وتدعم الانتماء الجماعي، وتفتح آفاقاً بحثية جديدة لدراسة العلاقة بين اللغة والفكر والثقافة في السياق المعاصر.

4.2 الهوية واللغة: الأبعاد الاجتماعية والرمزية:

تُعدّ الهوية بناءً اجتماعياً في جوهرها، يتشكل عبر التفاعل الرمزي والخطاب بين الأفراد والجماعات، بحيث لا تستند إلى خصائص جوهرية ثابتة، بل إلى ممارسات ثقافية متغيرة تُميّز الجماعات عن بعضها البعض. وتُبرز المقاربات السوسيولوجية دور اللغة كوسيلة رئيسية في هذا البناء، باعتبارها الأداة الأكثر فاعلية لإنتاج الرموز الثقافية التي تشكّل تجربة الإنسان وتحدد رؤيته للعالم، كما يرى إدوارد سابير[12]، من هذا المنظور، تُعيد اللغة إنتاج الهوية الثقافية في صور متعددة تشمل الأمثال والشعر والخطاب الديني والسياسي.

يمتد هذا البناء إلى مستوى الجماعات الأكبر، حيث يرى بنديكت أندرسون أن الأمم هي "جماعات متخيلة" تتشكل عبر اللغة والرموز، ما يمكّن أفراداً لم يلتقوا شخصياً من تخيّل انتمائهم إلى كيان مشترك[13]، وفي السياق العربي، يظهر هذا الارتباط من خلال اللغة العربية التي تعمل كعنصر موحّد للأفراد، مسهّلة استحضار سردية مشتركة للذات والتاريخ. وتشير الدراسات الأنثروبولوجية واللسانية إلى أن اللغة ليست مجرد انعكاس للهوية، بل وسيلة فاعلة لبنائها وتمثيلها؛ إذ تعيد الممارسات اللغوية اليومية، بما فيها الاستعارات والأطر الدلالية والتجسيدات النحوية والمعجمية، صياغة حدود الهوية الفردية والجماعية.

5.2 التفاعل بين اللغة والهوية في ضوء اللسانيات العرفانية والمعرفية:

تعتبر اللغة العربية أداة مركزية في بناء الهوية الثقافية، إذ لا تقتصر وظيفتها على التواصل فحسب، بل تعمل كجهاز معرفي ينظّم الإدراك ويؤطّر طرق تمثيل العالم، ما يجعلها وسيطاً أساسياً لإنتاج الهوية وتمثيلها على المستوى الفردي والجماعي[14]، ومن هذا المنظور العرفاني والمعرفي، تُظهر الدراسات أن اللغة ليست انعكاساً سلبياً للهوية، بل هي وسيلة فاعلة لبنائها وإعادة إنتاجها، حيث تتداخل البنية اللغوية مع الخبرة الجسدية والاجتماعية لتشكيل التجربة الإنسانية وفق أنماط ثقافية محددة.

تلعب **الاستعارة التصورية** (Conceptual Metaphor Theory) دوراً محورياً في هذا البناء، إذ يؤكد لاكوف وجونسون أن الاستعارات ليست مجرد أدوات بلاغية، بل آليات معرفية جوهرية يبني الإنسان من خلالها مفاهيمه عن العالم والحياة والزمن[15]، ففي الثقافة العربية، تتجلى هذه الاستعارات في مفاهيم مثل «النور» مقابل «الظلام»، كما ورد في القرآن الكريم: **«الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور»** (البقرة: 257)، وفي الشعر العربي القديم والحديث، لترسيخ ثنائية الهداية/الضلال والخير/الشر. هذه الصور لا تقتصر على الجانب البلاغي، بل تؤسّس لتمثلات هوياتية وقيمية تعكس التجربة الجماعية والثقافية.[16]

إلى جانب ذلك، تشكّل **الأطر الدلالية** (Frame Semantics)وسيلة لفهم المعنى في سياق ثقافي متكامل، كما يرى فيلمور، الذي يشير إلى أن كل مفهوم يحوي أدواراً وقيمًا وسياقاً معرفياً محدداً[17]، ومن الأمثلة العربية، مفهومي «الضيافة» و«الشرف»، اللذين لا يمكن فهمهما خارج الإطار الاجتماعي الذي يربطهما بالكرم، والوفاء، وحفظ المكانة. إن استدعاء هذه المفاهيم في الخطاب الأدبي أو السياسي يعيد إنتاج الهوية الجماعية ويؤكّد على الانتماء إلى منظومة قيمية محددة.[18]

ويبرز **النحو العرفاني** (Cognitive Grammar)كأداة إضافية لإظهار الهوية في اللغة، إذ يشير لانغاكر إلى أن القواعد النحوية ليست مجرد تراكيب شكلية، بل أنماط لتصوير المعنى وتنظيمه ذهنياً[19]، في العربية، يتجلّى ذلك في الاستخدام المكثف للضمائر الجماعية مثل «نحن» و«أمتنا» في الخطاب السياسي والديني، ما يعكس وعياً جمعياً بالهوية

ويستخدم النحو لتثبيت الانتماء. كما تُوظف بنى التوكيد والحصر مثل «إنما المؤمنون إخوة» لإعادة إنتاج وعي جماعي بالذات.[20]

تؤكد هذه النماذج أن اللغة ليست مجرد انعكاس للهوية، بل هي آلية معرفية مستمرة لبنائها .فالاستعارة التصورية تحوّل القيم إلى صور حسية، والأطر الدلالية تنسج هذه القيم في شبكات ثقافية متكاملة، والنحو يعيد تنظيمها في صيغ تكشف منظور الجماعة لذاتها. بهذا المعنى، الهوية ليست موجودة «ما وراء اللغة» بل هي نتاج سيرورة لغوية معرفية مستمرة، تُعيد إنتاج التجربة الثقافية والقيمية بشكل متواصل.[21]

6.2 اللغة العربية والهوية الثقافية: البعد الرمزي والمعرفي:

تحتلّ اللغة العربية موقعاً استثنائياً في تشكيل الهوية الثقافية للعرب والمسلمين، إذ تجاوزت وظيفتها التواصلية لتصبح رمزاً حضارياً ودينياً يوحّد جماعات متعددة الانتماءات العرقية والجغرافية. ومن خلال أدوات التحليل العرفاني والمعرفي، يمكن الكشف عن العمق الرمزي والمعرفي الذي تحمله العربية في ترسيخ الهوية وبنائها[22]، منذ نزول القرآن الكريم، ارتبطت اللغة بالدين الإسلامي ارتباطاً عضوياً جعلها لغة مقدسة، يُدرَك من خلالها النص القرآني، كما تُعدّ حاملة للهوية الدينية والأخلاقية. وقد ذهب ابن جني إلى أن اللغة «جنس من الإدراك» ورأى في العربية جوهر الانتماء الحضاري، بينما اعتبر الفكر الحديث الدفاع عنها دفاعاً عن الذات الحضارية في مواجهة الهيمنة الثقافية والسياسية.[23]

وقد تمثلت الهوية في البنية اللغوية للغة العربية عبر عدة آليات معرفية:

أولاً: الاستعارات الثقافية:

التي تجسد منظومات القيم الأخلاقية والدينية، مثل استعارة «النور/الظلام» التي تمثل ثنائية الخير/الشر والهداية/الضلال، كما ورد في القرآن الكريم: **«الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور»** (البقرة: 257). هذه الاستعارة لا تؤدي وظيفة بلاغية فقط، بل تبني هوية دينية وأخلاقية مشتركة.[24]

ثانياً: الأطر الثقافية في المعاجم العربية:

إذ أن المعاجم التراثية مثل «لسان العرب» تسلط الضوء على القيم المركزية كالضيافة والشرف والدين، من خلال كثافة المفردات التي تصفها وتفصلها، بما يتوافق مع نظرية فيلمور التي تؤكد أن كل كلمة تستدعي إطاراً معرفياً متكاملاً.[25]

ثالثاً: الأمثال الشعبية:

تُعدّ الأمثال الشعبية من أبرز الحوامل اللغوية التي تُسهم في ترسيخ القيم الثقافية داخل الجماعة، إذ لا تقتصر وظيفتها على الاختزال البلاغي للتجربة، بل تتجاوز ذلك لتؤدي دوراً معرفياً يتمثل في تنظيم الخبرة الاجتماعية ضمن أطر ذهنية مستقرة وقابلة للتداول. ومن منظور اللسانيات العرفانية، يمكن النظر إلى المثل الشعبي بوصفه بنية لغوية مكثفة تستدعي إطاراً دلالياً (Frame) متكاملاً، وتُفعّل في الآن نفسه عدداً من الاستعارات التصورية المتجذرة في التجربة الجسدية والثقافية.

فعلى مستوى الاستعارة التصورية، تكشف الأمثال العربية عن اعتماد واسع على إسقاطات حسية لتجسيد القيم المجردة. من ذلك قولهم: «الصبر مفتاح الفرج»، حيث يُبنى المفهوم المجرد (الفرج) على استعارة مكانية مادية تُصوّره كحيز مغلق يُفتح بمفتاح، وهو ما ينسجم مع ما يذهب إليه لاكوف وجونسون من أن التفكير المجرد يتم عبر استعارات مستمدة من الخبرة الحسية اليومية، كما نجد في مثل «يدٌ واحدة لا تصفق» تمثيلاً استعاريًا يقوم على تجسيد التعاون بوصفه فعلاً حركياً يتطلب تعدد الفاعلين، مما يعكس بنية تصورية قوامها أن «العمل الجماعي قوة»، وهي من الاستعارات المفهومية الشائعة في الثقافات الإنسانية[26].

أما على مستوى الأطر الدلالية، فإن المثل الشعبي يستدعي شبكة من العلاقات الاجتماعية والقيم الضمنية التي لا تُفهم إلا داخل سياق ثقافي محدد. فمثل «كما تدين تُدان» لا يعبّر فقط عن مبدأ أخلاقي، بل يُفعل إطاراً دلالياً يقوم على علاقة الفعل والجزاء ضمن نسق قيمي ديني واجتماعي، حيث تتضمن بنية الإطار عناصر مثل الفاعل، والفعل، والعقوبة، والمعيار الأخلاقي.

وفي السياق نفسه، يعكس مثل «من جدّ وجد» إطاراً ثقافياً يقوم على الربط بين الجهد والنجاح، حيث يتم تأطير الفعل الإنساني ضمن نموذج سببي يُعيد إنتاج قيمة العمل والاجتهاد. ويُلاحظ أن هذا النوع من الأمثال يشتغل بوصفه آلية معرفية لتثبيت ما يسميه بيير بورديو «الهابيتوس(Habitus) «، أي البنى الذهنية المتجسدة التي توجه السلوك الاجتماعي بصورة ضمنية.[27]

وتكمن أهمية هذه الأمثال في كونها لا تُنقل بوصفها معلومات مجردة، بل بوصفها صيغاً جاهزة تُستحضر في مواقف تواصلية محددة، مما يمنحها قوة تداولية عالية في إعادة إنتاج القيم وترسيخها عبر الأجيال.

بناءً على ذلك، يمكن القول إن الأمثال الشعبية في الثقافة العربية تمثل آلية عرفانية مركبة، تتقاطع فيها الاستعارة التصورية مع الأطر الدلالية والتجسيد، لتشكّل أداة فعالة في بناء الهوية الثقافية وترسيخ منظومة القيم داخل الوعي الجمعي.

3. اللغة والهوية: استراتيجيات بناء الهوية في النصوص العربية:

تلعب اللغة العربية دوراً محوريّاً في بناء وتمثيل الهوية الثقافية عبر مختلف أشكال النصوص، من القرآن الكريم إلى الشعر العربي والخطاب المعاصر. يُعد النص القرآني المرجع الديني واللغوي الأول، إذ يقدم نموذجاً متكاملاً لاستخدام الاستعارة التصورية، والأطر الدلالية، والبنى النحوية في ترسيخ الهوية الدينية والأخلاقية. على سبيل المثال، استعارة «النور/الظلام» لا تقتصر على تصوير الخير والشر، بل ترسم إطاراً معرفياً يربط بين الفعل الأخلاقي والانتماء الديني، ويحدد رؤية المؤمن للعالم، كما تحتوي اللغة القرآنية على تراكيب نحوية تعكس مستويات التوكيد والعمومية، مثل استخدام الجمع («المؤمنون») الذي يعزز شعور الانتماء الجماعي ويعيد إنتاج الهوية الدينية المشتركة[28]، من هذا المنظور، يصبح القرآن نموذجاً حيّاً لكيفية توظيف اللغة لإرساء القيم وتمثيل الانتماء عبر آليات معرفية متشابكة، حيث تتداخل البنية اللغوية مع الخبرة الدينية والاجتماعية لتشكيل الوعي الفردي والجماعي، فعلى مستوى النص الديني، لا يقتصر حضور الهوية على الاستعارات الكبرى، بل يتجلى أيضاً في البنية الخطابية، كما في قوله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» (الحجرات: 10)، حيث تُفعِّل أداة الحصر «إنما» بنية عرفانية تقوم على تقوية الانتماء الجماعي عبر تقليص إمكانات التأويل.

وفي الحديث النبوي، يظهر البعد الجسدي في بناء القيم الجماعية، كما في قوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد...» (صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، حديث رقم 2586)، حيث تُبنى الهوية الجماعية على استعارة جسدية تجعل المجتمع كياناً عضوياً متماسكاً، وهو ما يندرج ضمن ما يسميه جونسون «الاستعارات التجسيدية.

أما الشعر العربي، سواء الكلاسيكي أو الحديث، فاللغة العربية تواصل من خلاله أداء دورها في ترسيخ الهوية من خلال الاستعارات والصور البلاغية المستمدة من الخبرة الحسية والاجتماعية. استعارات الشعر الجاهلي المتعلقة بالشجاعة والكرم أو استعارات الشعر الحديث حول الوطن والحرية لا تعبّر فقط عن المشاعر الفردية، بل تخلق أطرًا معرفية تعكس القيم الجماعية والانتماء الثقافي[29]، كما تتجلى الهوية من خلال أطر قيمية مرتبطة بالقبيلة والشرف، كما في قول زهير بن أبي سلمى:

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه *** يُهدم ومن لا يظلم الناس يُظلم

حيث يُفعَّل إطار دلالي يقوم على ثنائية القوة/الضعف، ويعيد إنتاج منظومة القيم القبلية التي تجعل الدفاع عن الجماعة شرطاً للبقاء. هذا النوع من الأطر يعكس ما تشير إليه الدراسات الأنثروبولوجية من ارتباط اللغة بالبنى الاجتماعية.

وفي الشعر الحديث، تتخذ الهوية طابعاً وطنياً، كما في قول محمود درويش:

"على هذه الأرض ما يستحق الحياة"

حيث يتم بناء إطار دلالي يربط بين الأرض والهوية والانتماء، وتُستخدم بنية تقريرية تُضفي طابعاً يقينياً على الخطاب، مما يعزز الارتباط العاطفي بالجماعة الوطنية.

كما يُظهر النحو العربي قدرته على إبراز التماسك الاجتماعي، من خلال استخدام صيغ الجمع وضمائر المتكلم الجمعي («نحن») لتأكيد شعور الانتماء إلى الجماعة أو الأمة، ما يجعل الشعر أداة فاعلة لبناء الهوية الجماعية ونقل قيمها عبر الزمن.

أما الخطاب المعاصر، بما في ذلك الخطاب السياسي والإعلامي، فإنه يواصل استخدام اللغة العربية لتثبيت الهوية الجماعية، ولكن في سياق يتسم بالتغير والاغتراب والتحديات العالمية. تُوظف المفردات الجامعة مثل «الأمة»، «الوحدة»، و«المصير المشترك» في الخطابات الرسمية ووسائل الإعلام لتعزيز وعي الانتماء، بينما تُستثمر الاستعارات والصور البلاغية لخلق إحساس بالاستمرارية الثقافية والارتباط بالقيم الأصيلة[30]، كما تلعب اللغة العربية دوراً محورياً في المجتمعات المغتربة، حيث تُستخدم في المدارس والمراكز الثقافية والجمعيات الأدبية لنقل التراث الثقافي والقيم الاجتماعية من جيل إلى جيل، وتعزز شعور الانتماء والهوية الجماعية رغم البعد الجغرافي، كما تسهم في توفير التوازن النفسي والاجتماعي للأفراد المهاجرين.

وفي الخطاب التداولي اليومي، بما في ذلك الأمثال الشعبية، تتجسد الهوية في صيغ مكثفة تُستحضر في مواقف محددة، مثل «الجار قبل الدار» الذي يفعّل إطاراً اجتماعياً يقدّم العلاقات الإنسانية على الاعتبارات المادية، أو «اللي ما له أول ما له تالي» الذي يؤكد مركزية الأصل والانتماء في الوعي الثقافي.

يُظهر هذا التنوع في الcorpus أن اللغة العربية لا تعكس الهوية في مستوى واحد، بل عبر طبقات متعددة من الخطاب، تتكامل فيها الاستعارة التصورية، والأطر الدلالية، والبنى النحوية لتشكيل تمثلات معقدة للانتماء. ومن ثم، فإن اعتماد مدوّنة نصية متنوعة لا يُعدّ خياراً منهجياً ثانوياً، بل شرطاً أساسياً لضمان موضوعية التحليل وتجنّب التعميمات غير المسندة.

إن هذا التحليل يؤكد النظرية اللسانية العرفانية والمعرفية القائلة بأن اللغة نشاط إدراكي وثقافي في الوقت نفسه، وأن الهوية تُبنى من خلالها وتُجسَّد في الممارسة الخطابية اليومية والنصية المختلفة.

1.3 استراتيجيات بناء الهوية في اللغة العربية:

تتجلى استراتيجيات بناء الهوية الثقافية في اللغة العربية من خلال ممارسات تطبيقية متنوعة، تعكس العمق الرمزي والمعرفي للنصوص والخطاب. على المستوى الديني، تساهم قراءة النصوص القرآنية في البيت أو المسجد في تعزيز الانتماء الديني لدى الأفراد، إذ تُعيد هذه الممارسة إنتاج الهوية الدينية المشتركة عبر التفاعل المباشر مع النص القرآني والاستعارات والمفاهيم الأخلاقية التي يحملها القرآن الكريم.

أما على المستوى الاجتماعي والثقافي، فتُستخدم الأمثال الشعبية في الحياة اليومية كأدوات تعليمية وتراثية لترسيخ القيم الأخلاقية والاجتماعية، مثل مفاهيم النقاء والوفاء والشرف، حيث تتحول الصور الحسية في الأمثال إلى أطر معرفية تُعزز الانتماء الجماعي وتسهّل نقل القيم من جيل إلى آخر.

وفي السياق المعاصر، تعمل الجمعيات والمراكز الثقافية العربية في الخارج على توظيف اللغة العربية في الخطاب العام لتقوية الانتماء الجماعي لدى الجاليات المغتربة. من خلال الأنشطة الثقافية، والمحاضرات، وورش العمل التعليمية، تُستخدم العربية لنقل التراث الثقافي والقيم الرمزية، وتعزيز الوعي بالهوية الجماعية، ومواجهة مشكلات الاغتراب

النفسي والاجتماعي، ما يجعل اللغة أداة حيوية للحفاظ على الانتماء الثقافي خارج الوطن الأصلي.

جدول (3): يوضح العلاقة بين النصوص المختلفة وآليات بناء الهوية من منظور اللسانيات العرفانية:

السياق النصي	الاستعارة التصورية (Conceptual Metaphor)	الأطر الدلالية (Frame Semantics)	النحو العرفاني (Cognitive Grammar)	مثال نصي
النص القرآني	»النور/الظلام« لترسيخ ثنائية الخير/الشر والهداية/الضلال	إطار معرفي ديني وأخلاقي يربط السلوك بالقيم والجزاء ويحدد رؤية المؤمن للعالم	استخدام الجمع وضمائر الجماعة («المؤمنون») لتأكيد الانتماء الجماعي	»اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ« (البقرة: 257(
الشعر الجاهلي	استعارات الشجاعة والكرم لتجسيد القيم الأخلاقية	أطر ثقافية تمثل قيم النبل والشجاعة وتعكس الانتماء الاجتماعي	استخدام صيغ الجمع وضمائر المتكلم الجمعي («نحن») لإبراز التماسك الاجتماعي	قول امرئ القيس: «فليَسْتَبِقْ حِمَايَةَ الكَرَمِ«
الشعر	استعارات الوطن والحرية	أطر معرفية	استخدام صيغ الجمع	من شعر

الحديث	لتعزيز الانتماء الثقافي	وطنية واجتماعية تعكس الهوية الجماعية	وضمائر الجماعة لتأكيد الانتماء الوطني	نزار قباني: «وطني الحبيب، دمك في عروقي«
الخطاب المعاصر	مفردات وصور تعبر عن الأمة والوحدة والمصير المشترك	أطر معرفية اجتماعية وسياسية تنظم القيم وتعزز الهوية الجماعية	توظيف التركيب اللغوي والتوكيد لإعادة إنتاج الانتماء الثقافي	خطاب رسمي أو إعلامي: «الوحدة أساس الأمة، والمصير مشترك بين أبنائها«

يوضح الجدول كيفية تجسيد الهوية الثقافية في اللغة العربية عبر النصوص المختلفة، من القرآن الكريم إلى الشعر والخطاب المعاصر، من خلال ثلاث آليات معرفية رئيسية:

- أولاً، تعمل الاستعارات التصورية على تحويل القيم المجردة إلى صور حسية ملموسة، مما يسهل إدراك الهوية والارتباط بالمعنى الثقافي.
- ثانياً، توفر الأطر الدلالية سياقاً معرفياً متكاملاً يربط بين المعاني والقيم والسلوكيات، وتعمل كإطار لإعادة إنتاج الهوية عبر النصوص المختلفة، سواء كانت دينية، أدبية، أو سياسية.
- ثالثاً، يبرز النحو العرفاني دوره في تعزيز الانتماء الجماعي، من خلال استخدام صيغ الجمع وضمائر المتكلم الجمعي، وبنى التوكيد والأساليب

التركيبية، ما يجعل النصوص أدوات فعالة لبناء الهوية، وليس مجرد انعكاس لها.

خاتمة ونتائج البحث:

خلص هذا البحث إلى أن اللغة العربية تمثل ركيزة أساسية لبناء الهوية الثقافية للعرب والمسلمين، ليس فقط بوصفها وسيلة للتواصل، بل كفضاء معرفي وثقافي متكامل يعكس القيم والرموز والتجارب الجماعية. أظهر التحليل أن اللغة العربية تبرز كرمز ديني وحضاري منذ القرآن الكريم، حيث تُوظف الاستعارات التصورية مثل «النور/الظلام» والأطر الدلالية المرتبطة بالقيم الأخلاقية والدينية لتشكيل منظومة معرفية تُرسخ الانتماءات الجماعية.

كما أظهرت دراسة الشعر العربي أن الاستعارات والصور البلاغية والنحو العرفاني في النصوص الكلاسيكية والحديثة تعكس تمثلات الهوية الثقافية والوطنية، حيث تنقل التجارب الجماعية والقيم الأخلاقية والاجتماعية عبر الأجيال، ويستمر هذا الدور في الخطاب المعاصر، سواء السياسي أو الإعلامي، حيث تُستخدم المفردات الجامعة، وصيغ التوكيد والضمائر الجمعيّة لتعزيز الانتماء الجماعي وتقوية شعور الهوية رغم التباينات الجغرافية والسياسية.

أضافت دراسة اللغة في سياق الاغتراب والهجرة بعداً جديداً، إذ تتضح أهمية العربية كأداة لإعادة إنتاج الانتماء الثقافي والديني في البيئات الجديدة، من خلال التعليم الأسري والمدارس والمراكز الثقافية، ما يساعد الأفراد على مواجهة الانفصال الجغرافي والنفسي، ويؤكد أن اللغة ليست انعكاساً سلبياً للهوية، بل نشاط إدراكي وثقافي يولّدها ويجددها.

من منظور اللسانيات العرفانية، تتضح الوظائف المعرفية للغة عبر ثلاث آليات رئيسية:

1. **الاستعارة التصورية** لتحويل القيم المجردة إلى صور حسية، ما يسهل إدراك الهوية والارتباط بالمعنى الثقافي.
2. **الأطر الدلالية** لتأطير المعنى ضمن سياقات معرفية واجتماعية، ما يعيد إنتاج الهوية عبر النصوص الدينية، الأدبية والسياسية.

3. **النحو العرفاني**، الذي يستخدم صيغ الجمع وضمائر المتكلم الجمعي وبنى التوكيد لإبراز الانتماء الجماعي، ما يجعل النصوص أدوات فعالة لبناء الهوية وليس مجرد انعكاس لها.

النتائج الرئيسية:

1. **اللغة العربية رمز حضاري وديني** :ترتبط بالقرآن والانتماء الديني، ما يجعلها عنصراً أساسياً في تشكيل الهوية الثقافية والعقائدية.
2. **الاستعارة التصورية أداة لبناء الهوية** :تجسد القيم الأخلاقية والدينية وتحوّل المفاهيم المجردة إلى صور حسية يسهل إدراكها.
3. **الأطر الدلالية تحدد السياق الثقافي والمعرفي** :كل مفهوم يُفهم ضمن إطار معرفي واجتماعي محدد، مما يعزز الانتماء الجماعي.
4. **النحو العرفاني يعكس الانتماء الجماعي** :استخدام الضمائر الجمعيّة وصيغ التوكيد يعيد إنتاج الهوية عبر تراكيب لغوية محددة.
5. **اللغة في السياق المعاصر والمهجري** :تعزز الانتماء الجماعي في الخطاب الإعلامي والسياسي، وتحافظ على الهوية الثقافية في البيئات المهجّرة عبر المدارس، الأمثال، النصوص الدينية والممارسات المجتمعية.
6. **تأكيد المنهج العرفاني** :اللغة نشاط إدراكي وثقافي يبني ويجسّد الهوية، ويوفر إطاراً لفهم العلاقة بين اللغة والقيم والمعاني الجماعية.

التوصيات:

1. **تعزيز تعليم اللغة العربية في السياق المهجري** :إنشاء برامج تعليمية ومراكز ثقافية تركز على نقل التراث والقيم الثقافية.
2. **التركيز على الاستعارة والأطر الدلالية في المناهج التعليمية** :تمكين الطلاب والناشئة من فهم المعاني المضمّنة في النصوص التراثية والشعرية.
3. **اعتماد المنهج العرفاني في الدراسات اللغوية والثقافية** :استخدام التحليل العرفاني لفهم العلاقة بين اللغة والهوية في النصوص الأدبية والدينية والخطابات المعاصرة.

4. **تعزيز الوعي بالهوية الثقافية عبر الإعلام** :توظيف اللغة العربية بشكل مدروس في الخطاب الإعلامي والسياسي لتأكيد القيم المشتركة والانتماء الثقافي.
5. **دراسات مستقبلية حول تأثير التعددية الثقافية** :دراسة تأثير العولمة والهجرة على اللغة والهوية، مع التركيز على استمرارية القيم الرمزية في السياقات المعاصرة.

- الإحالات والهوامش:

[1] Lakoff, G. & Johnson, M. (1980). Metaphors We Live By. Chicago: University of Chicago Press, p. 5

[2] Langacker, 1987, p. 12

[3] Lakoff, G. & Johnson, M. (1980). Metaphors We Live By. Chicago: University of Chicago Press, p. 15

[4] Fillmore, C. J. (1985). "Frames and the Semantics of Understanding". Quaderni di Semantica, 6(2), p. 223

[5] Talmy, 2000, p. 25

[6] Hall, 1990

[7] Sapir, 1921, p. 207

[8] Benmamoun, 2010, p. 78

[9] Lakoff, G. & Johnson, M. (1980). Metaphors We Live By. Chicago: University of Chicago Press, p. 25

[10] المسدي، عبد السلام. (2005)، الهوية العربية والأمن اللغوي. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ص. 45

[11] Fishman, J. A. (1989). Language and Ethnicity in Minority Sociolinguistic Perspective. Clevedon: Multilingual Matters, p. 32

[12] Sapir, 1921, p. 207

[13] Anderson, B. (1983). Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism. London: Verso, p. 6

[14] Hol, M. (1990). Cultural Identity and Diaspora. London: Routledge, p. 223; Anderson, B. (1983). Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism. London: Verso, p. 6; Sapir, 1921, p. 207; Lakoff, G. & Johnson, M. (1980). Metaphors We Live By. Chicago: University of Chicago Press, p. 5

[15] Lakoff, G. & Johnson, M. (1980). Metaphors We Live By. Chicago: University of Chicago Press, p. 18

الجابري، محمد عابد. (1992)، الهوية الثقافية والعولمة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص 41

[17] Fillmore, C. J. (1985). "Frames and the Semantics of Understanding". Quaderni di Semantica, 6(2), p. 223

[18] المسدي، عبد السلام. (2005)، الهوية العربية والأمن اللغوي. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ص 87

[19] Langacker, R. W. (1987). Foundations of Cognitive Grammar: Theoretical Prerequisites. Stanford: Stanford University Press, p. 55

[20]Fishman, J. A. (1989). Language and Ethnicity in Minority Sociolinguistic Perspective. Clevedon: Multilingual Matters, p. 32

[21] Talmy, L. (2000). Toward a Cognitive Semantics. Cambridge, MA: MIT Press, p. 25

[22]المسدي، عبد السلام. (1996)، الهوية واللغة. بيروت: دار توبقال، ص. 45

[23]ابن جني. (1952) الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. القاهرة: دار الكتب المصرية، ج1، ص. 33؛

[23]صمود، عبد القادر. (2004)، اللغة والهوية. بيروت: دار الفكر، ص 61

[24]الجابري، محمد عابد. (1992)، الهوية الثقافية والعولمة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص. 39

[25]ابن منظور. (1994) لسان العرب. بيروت: دار صادر، ج2، ص. 112

Fillmore, C. J. (1985). "Frames and the Semantics of Understanding". Quaderni di Semantica, 6(2), p 223.

[26]Lakoff & Johnson, 1980, pp. 25–32

[27]Bourdieu, 1991, pp. 52–55

[28]Langacker, R. W. (1987). Foundations of Cognitive Grammar: Theoretical Prerequisites. Stanford: Stanford University Press,p 55.

[29] Talmy, L. (2000). Toward a Cognitive Semantics. Cambridge, MA: MIT Press, p 47.

الجابري، محمد عابد. (1992)، الهوية الثقافية والعولمة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص. 42

[30]Anderson, B. (1983). Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism. London: Verso, p 14.

المسدي، عبد السلام. (2005)، الهوية العربية والأمن اللغوي. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة ، ص. 102 .

-قائمة مصادر البحث ومراجعه:

المراجع العربية:

1. ابن جني. (1952) الخصائص .تحقيق: محمد علي النجار. القاهرة: دار الكتب المصرية.
2. ابن منظور. (1994) لسان العرب .بيروت: دار صادر.
3. الجابري، محمد عابد. (1992)، الهوية الثقافية والعولمة .بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
4. المسدي، عبد السلام. (1996)، الهوية واللغة .بيروت: دار توبقال.
5. المسدي، عبد السلام. (2005)، الهوية العربية والأمن اللغوي .بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
6. صمود، عبد القادر. (2004)، اللغة والهوية .بيروت: دار الفكر.

المراجع الأجنبية:

7. Anderson, B. (1983). Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism. London: Verso.
8. Fillmore, C. J. (1985). "Frames and the Semantics of Understanding". Quaderni di Semantica, 6(2), 222-254.
9. Fishman, J. A. (1989). Language and Ethnicity in Minority Sociolinguistic Perspective. Clevedon: Multilingual Matters.
10. Hol, M. (1990). Cultural Identity and Diaspora. London: Routledge.
11. Lakoff, G. & Johnson, M. (1980). Metaphors We Live By. Chicago: University of Chicago Press.
12. Langacker, R. W. (1987). Foundations of Cognitive Grammar: Theoretical Prerequisites. Stanford: Stanford University Press.
13. Talmy, L. (2000). Toward a Cognitive Semantics. Cambridge, MA: MIT Press.